

حديث الماء و النار

محمد صالح الخولاني

شعر

حديث الماء والنار

شعر

محمد صالح الخولانى



سلسلة
أصوات أدبية

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

- حديث الماء والنار
- محمد صالح الخولانى
- الطبعة الأولى:

الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2008 م
192ص، 5ر13 x 5ر19 سم

- تصميم الغلاف: د. خالد سرور
- المراجعة اللغوية:

سعاد عبد الحليم

- رقم الإيداع: ٢٠٨٧٥ / ٢٠٠٨
- الترقيم الدولى: 1-941-437-977
- المراسلات:

باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 أ شارع أمين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)

- الطباعة والتنفيذ:

شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

394

سلسلة شهرية تعنى بنشر إبداع أدباء
مصر فى الشعر والقصة والرواية

الآراء الواردة فى هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة
بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف فى المقام الأول.


حديث الماء والنار

صمت النهر

كنا نسامر وجهه الفضيَّ
نستدنيه تاريخًا من العبق القديم
تَلقَّى الرسائل بين أيدينا
فنسألها
لغةَ تحاور في المدى المخبوء في دمنا التباريح القديمة
كنا نباهي فيه أزمانًا مراوغةً عنيدة
ونلوذ في أكنافه بالظل يوصلنا بفيء المدنفين
كنا إذا اندلعت بنا الأوهام نسأله
زلفى فيمنحنا براءات اليقين

***

يأيها الزمن الذي ولّى

لترحل في زواياك التي ما أطفأتها الريح يوما
أشواقنا المستنسخات من التراتيل العتيقة
ألأننا عدنا ظلالاً
من رؤىً ضلّت مرافئها الغريبة
نرتدُّ فيك ثمالةً
خرساءَ في كأسٍ مراوغةٍ ملول
ألأننا عدنا
حكاياتٍ يباريها ضباب الغيم أن تنهلّ أفراحًا جديدة
نترصّد الأصداء فيك
لتستحيل لغاتها العجماء موسيقا صديقة
لكنّ صمت النهر يقرئنا أحاجيه العتيمة
ويراوغ الأشواق في دمنا بلا أصداء بارقةٍ تلوح

***

هو ذلك النهر الذي كنا إذا نلقاه يومئ بالتحايا
ويذيب في شفة المساء أغانيَ الأكوان
تصدح في المروج
يمضي يحلّق فوق هامِ النخل
يهديها الهدايا
ويروح يمعن في لغات الطير
يعزفها تراتيلاً وآيا
وصبابةً

تنداح كالنيران تورق فى صدور العاشقين

***

هو ذلك النهر الذي قد كان يوقظنا

لنروح نعدو خلف بهجتنا

ونطير فوق مراحنا المعقود

ألويةً وتيجانًا وعيدا

ويسابق الفرح المجنح فى انفلات الريح

فى ولع الصبايا

ليعيد فى الأحداق أجنحةً

وينبت فى حدائقها مرايا

***

والآن إن أقبلتُ أسأله

شفةً تحدِّث عن صدى بناءٍ قديم

وإذا أتيتُ أريق بين يديه أصداء انعتاق الذكريات

لم يولُنى سمعًا وأنكرنى

مثل السنين الجُدْب تنكر موسم الغيث القديم

***

يأيها النهر الذى ضيّعتُ فيك صبابتي

وأرقت فيك العمر عامًا بعد عامٍ

لم أولك النكرانين ظمئت للفرح العنيد

لا ما اصطفيتُ سوى أغانيك المجنحة

العذاب
وسوى مراتعك التي غنيتُ فيها العشق
يولد من تباريح العذاب
حتى متى أصبو
فلا أرتاد فيك سوى مواسمك الجديبة
وسوى ارتحالك في اندياح الموج يمضي نحو آفاقٍ غريبة ؟
حتى متى أوليك أوردتي
تنسابُ فيك مدىً من الأوراد
ترفعها صلاةُ المخبتين
فتردني عن شاطئيك سدىً
أُقصي فلا أستاق منك سوى سوافيك النجيلة
وسوى صدى الظمآن
توغل فيه هاجرةٌ غشوم

***

يأيها النهر المدجج بالإباء
لو جئت أخترع المدى
أرجوه يفتح لي كوىً
ينهلّ منها الماءُ يغسلني
يبارك فيّ ما ضيعته عبر السنين
ويُذيب فوق ركام جلدي
ذلك الصدأ الذي غَشّاهُ دهرا

ألقاه يعصر مقلتيك لظىً
ويمعن فى اجتياح الماء يذروه هشيما
أكذا تثيب رفاق ليلك
واصليك بكل أصرةٍ رءوم
وبكل صوب من مرامى العشق
توحيه التباريح المهيجة
رحماك بى
يأيها النهر المدجج بالجنون

ثلاثة أوجه للبراءة

براءةُ ذمتك امتصت الماء من مقلتيك
فلم تقو أن يزد الوقتَ تستوضئ النهر إلا بنار السمّوم
وها هو ذا النهُّر الذى خلتَ أنك تصليه سوْما
يعود فيصليك من نقمة الليل
أحزانه الموغلات العقيم
توضأ بنارك
وامسح على رأسك العار
واصلب على صهوة الموت أقوالك المفتراه
لعل البراءةَ
إن جئت تلقى إليها المعاذير كى تطفئ النار فى مقلتيك
تواتيك بالقدر الذى كنت ترجوه يوما

أتذكر
نادتك أكذوبة الوقت
منطلقا فوق متن الأراجيف
ممتطيًا صهوة النشوة المدعاة الحرام
فبادرت الصوت ثلتك المستفزة باللوثة الجامحة
وغادتك حطّت برجليك مهمازة النار والعنفوان
وهأنت تصلى الذى كنت مستعصمًا
تتحاشى مداه

***

براءةُ وجهك
هذا الذى كان تحت القناع زنيمًا رجيمًا أثيمًا
وفوق القناع ارتدى فورة المستبد الجسور
تحامتك تلك البراءةُ
وارتد من خلفها الوثن الفائز المستثار
فعدت كما أملت الريح دفترك المستريب الأثيم
وعادت خطاك على مدرج النار أمثولةً للتداعى
وللنزق الخائر المستنيم
لشهوة ليلٍ غضوبٍ كذوب

***

براءة كفيك تلك التى لم تصادق مداها الأقاويل
ما باركتها المزامير.

ماعانقتها سوى اللغة الآثمة
تحامتك تلك البراءة
فاخلع ثيابك فوق الغدير
وألق بما صار منك إلى الماء
والمم شظاياك
غادرْ إلى لغةٍ لا يضيء مداها النهار
وعد حيث أحلامك الرابضات
على شفة الموت تقفوك رعبًا
فما زال في الشمس متسعٌ قبل فوت النهار
وقبل اضطرارك أن تلج النار
قبل اضطرام الظلام

***

براءاتك انثالت الآن فوقك شؤبوب نار
وفورة حزن عصيٍّ عتيّ
تحاصرك اللغة المستحثةُ حظو الأقاويل
تمليك حرفًا خئونا
سديمًا من العصف
دنيا مؤججة بالأراجيف
موسومةً باندلاع المواقيت
مرسومةً باللظى والدخان
تماديك في اللغو ما عاد يجديك شيئًا ودربك هذا الذي

شدته بالملاحاة
ما عاد دربا حفيّا
وسمتُك هذا الذى وسمته الأناشيد
ما عاد لحنًا شجيّا
إزاء الذى جئت شيئًا فريّا
فبعد انتحالك صوت المزامير إفكا وزورا
وبعد ارتحالك خلف تماديك دهراً عصيّا
فعد واقرأ النار تنبئك كيف يكون السير
وكيف يئوب إلى شفة النهر فى الليل
سربٌ حسيرٌ كسير
فلا النهر يصليه إلا انطفاء الينابيع
حين يجن الصدى
ولا الليل يوليه إلا انكفاء المواعيد
خلف الهزيع الأخير

أحزان التاسع من نسيان

«مدخل»

إنَّا لنمقت أن نقيم طقوسنا
لنخرّ تحت قوائم الأوثان
نمنحها قنوت الوقت
نسقيها دماء اللحظة المرخاة من وهَنَ السنين
وكما نحاذر أن نؤله فى دمانا الريح
نكره أن نصلى للمواقيت الكذوب
تنحاز في دمنا المواجد للبراءة حين توأد
فى عيون المرتجين
ننحاز للفزع المراق على شفير الليل
نصليه اقتحامًا واحتداما

ونبيع في دمنا الحياة
دون انتظار أن تواتينا بروق الوقت
تمنحنا براءات النزوح إلى مرافينا العصيّة

***

الليلةَّ انطفأت بعينيّ المواعيد التي
قد أجلتها الريح أزمانا حرونا
تلك التي ساورتُها دهرا عصيّ البوح
مشتعل الدماء
وانهدّ في الجداف أذرعه
تلك التي قد أثخننتها الموجة العمياءُ
تحت سنابك الليل المغيرة
الليلةَ اندلعت بأرضي اللعنة المعصوبة
العينين تحتاز المدى
لما ترامت خلف ناصية التواريخ العتيقة
واستعجلتها الريحُ سافيةً معربدة جموحا
ما كنت أحسب أن ليلاً فائراً بالموت
ينتحل البروق
ليحيل بالأفق المضمخ بالرؤى النشوى وبالعبق المجيد
أبهاءه لهبًا تجاسر أن يسيل على الدروب ويعانق القحم
المهيبة في ذرا بغداد يعصرها دماءَ
ويبادر الأطفال في أحلامها اللاتي انطفأن على المهاد

فتخر فوق رؤى عوالمها البريئة
دنيا مضت تنحل فوق رءوسها شعلاً مضيئة
ولظى وأطيافًا مفزّعةً
تخايل بالرماد وبالدخان
وسوامق النهرين كنت أعيذها
أن تستلين لوطأة الليل المدجج أن يغير على الصباح

***

شلّت يداى الآن وانبجست بقلبي النار وانطفأ الغناء
وهوت على الفرح المؤجل سورة الإعصار تحطمه هشيما

***

قد كنت أبصر للعراق مدىً
يعانق قبة الأقصى ويمطرها وعودا
قد كنت أرقبه يُهيًأ للمواعيد المشاكسة الجسور
وأرى التوجس يستثير الحية الرقطاء
يملؤها ارتعابا
لما تقاعس دونها
زمرٌ مفزّعةٌ بليدة
والآن فلتهنَىْ ومدّى فرعك المنسلّ
ينتهب المدى
واسعَىْ. تراقىْ فى مناكبها مخاتلةً وكيدا
فلقد ربحت الآن صيدا

وهوت لقبضتك المديدة من ذراها
الشُّمِّ آفاقٌ عنيدة
خُطّى على صفحاتك السوداء خطتك الوئيدة
وتهيئي
كي تزحم التاريخ دنياك الجديدة
كي تستبيحى ما تراخت عنه أيدى المرتجين
ثم اركزى أعلامك الزرقاء تنهل من دموع الكبرياء
راياتنا الفرعاء ما عادت تهش لها السماء
ما عاد فى عزماتها
طوقٌ يحلق فى الفضاء
فقد انطوين يقمن فوق الساح ألوية العزاء
ولتهنئوا يا أصدقاء الغولة الرعناء ولترضوا منى
ولتشربوا أنخابكم
عسلاً تقطّر من دم الأطفال تنزع من صدور الأمهات
ولتستطيبوا الآن رائحة الشواء تفوح من جثث العقيلات
الثكالى
الملقيات على شفير النار تأكلهن عاصفة الحريق
شدوا العقال على العقال
ورتلوا سور النضال
واستقرئوا صوب المآذن
أن حيّ على القتال

ثم استديروا قبّلوا رأس المغوليّ الجديد
صلواعلى أعتابه
واستمطروا البركات من كفيه
وارتحلوا حجيجا
فلقد أتاح لكم بما أدلى به زمنًا بهيجا
زمنًا تقاطر من رؤاه مدىً من الألق الطروب
ينسلّ في فرح يحاذر أن يسيل على الدروب
لكنما تغشى سوانحه الخفيّة
لُمَعٌ بوارق يستحث نداؤها
صوبَ الخطى خلف المسارات العصيّه
شلّت يداى الآن
وانبجست بقلبى النار
وانطفأ الغناء
وهوت على الفرح المؤجل سورة الإعصار تحطمه هشيما

إيقاعات على أنشودة المطر

«مع الاعتذار لذكرى شاعر العراق

الكبير بدر شاكر السياب»

مطر مطر مطر
يا بصرة التاريخ يا بغدادُ
يا أرياف يا حضر
يا كربلاء يا متلوّة السدر
عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
الآن عادتا
نافورتين تقدحان بالأسى وبالشرر
وشرفتين راح ينأى عنهما القمر
من بعد ما استثار خلفه
سحائب الظلام والقتام
ووجه كذابٍ مخاتلٍ أشر

يا نجمةً طعينة تلوب فى المدار
ما مر يوم ليس فى العراق نار
ما مر صبحٌ ضارعٌ
ما انهار فى عيونه
دربٌ ومسجدٌ وقبةٌ ودار

***

مطر مطر مطر
سحائب ثجاجةٌ
بالنار والغبار والرماد والردى
أرى على متونها
مهيجةٌ جحافل التتر
وأسمع النخيل وهو يشرب المطر
قذائفًا ملغومةً
بالموت والدماء وانكفاءة الخطر
وبانطفاءة المدى
فى أعين البشر
ما عاد ينجى من سعيرها
تدرُّعٌ ولا تقيّةٌ ولاحذر
ما أيسر السفر
ما بين كربلاء والرصافة المحلولة الإزار
وبين ما يراد فى الكويت . فى البحرين . فى قطر

يا عار أن ينداح فى السطور
كلَّ ساعةٍ خبر
يلوب فى اسمٍ يعربى السمت والصدى
تحت انهيار القيمة الفرعاء ماد وانتحر
يا خزى ما يتوّج العقال هامه
يبيع قبل النفط عزة انتمائه المجيدة
وعزة المواثق الجليلة الخطر

***

يا دفقةً تروّع النجوم فى السماء
أرى السحائب المريبة الخُطى
تمور بالدماء
فتستفيق ملءَ روحى رعشة البكاء
تثاءب المساء والغيوم ما تزال
تسحّ ما تسح من دموعها الثقال
فوق الجسور والمعابر الحطيمة
وفوق كربلاء والأنبارو النجف
وفوق ما ارتاع وفوق ما ارتجف
تئز فورة الخلائق الرجيمة
تضيع وسط الهول والركام والحطام
من غير أن يبادر الصباح فيعقل الجناح أو يكفكف
الجراح

كأن طفلا بات يهذى قبل أن ينام
بأن أمه التى أفاق منذ عام
فلم يجدها ثم حين لج فى السؤال قالوا له بعد غدٍ تعود

***

ما مر يوم ليس فى العراق نار
ولا دمٌ يهمى ولا غبار
ولا انبهارٌ يخطف العيون فى البريق
ولا انهمار يستفز فورة الحريق
تكابد الدروب حزنها
فيسحب الليل عليها من دمٍ دثار

***

وقبل لحظة اندفاق روحه
وقبل أن يخرّ فوق صدره المهيج
يصيح يا خليج يا خليج
يا واهب اللؤلؤ والمحار والردى
هأنت توفى بالوعود والرعود
هأنت تعبر الحدود
مجللاً بفورة المخاتل الصديق
ينسلّ بالحديد والنيران والبروق
وفى العراق ألف أفعى تشرب الرحيق
من زهرة يربها الفرات بالندى

ويشعل المدى
بألف فريةٍ عن عالمٍ جديد
ينز قبل النفط فى اندفاقه العنيد
بالدم والقيح وبالصديد
لكننى برغم ما يدور
وما تحاكنى به القبور
أكاد أسمع العراق يذخر الرعود
ويخزن البروق فى السهول والجبال حتى إذا ما فض
ضمتها الرجال
لم تترك الرياح من ثمود فى الدار من أثر
مطر مطر مطر مطر

راية فوق رقاب الجبناء

«إلى أبو عمار» عندما هدد السفاح

باغتياله فى محبسه»

أيــهــا الــنــاسك فى مــحــرابه

شامخًا فى عـنفوان الكـبرياء

قـــيـدوا خــطـوك لـكنّ المــدى

من حــوالــيك عــلــوٌ وارتــقـاء

هل رأيــتم مــوثــقًــا فى ســجــنه

تــسع الأرض خــطـاه والــســمـاء

آيـــةٌ من عــجب تــدلى بـــهـــا

حين يقضى فيك للدنيا قضاء

فى طـــلـــيق مـــوثق فى عـــاره

وســجـين مــطـلق فى الــطـلـقاء

فليق يخشون من صولته

ويدارون نزيف الخيلاء

****

أيها الماثل فى عين الردى

مشهداً للعز رمزاً للعطاء

رغم ليل حالك مضطرم

بالخطايا يفتريها من يشاء

ما تزال الأرض فيها نخبةٌ

حرة تحيا حياة الشرفاء

تزن الأقدار بالقدر الذى

لا يمارى فيه زيفٌ وادعاء

وطن الأحرار فى كل مدىً

معجبًا يوليك آيات الوفاء

يصطفيك الحق أن ترمى به

رايةً فوق رقاب الجبناء

فلنكن فى قمة المجد مدىً

يتسامى من مضاءٍ لمضاء

ولتكن فى ذمة الأرض صدىً

يترامى فى نداء الشهداء

أو تكن مرمىً لعاث مجرم

دينه بغى ودنياه اعتداء

أيـنـمـا كـنـت سـتـبـقـى صـورة

مـــطــفـــأة من تــواريخ الإبـــاء

وســتـبــقي مـحــفلاً يــزهى به

كل من ســار عــلى درب الـفـداء

أسفى على ميثاق عروتنا

«صديقى الذى لم يدعنى لحفله»

مثلي بمحفله يشع سنى
فيموج باللألاء محفله
قد كان فيض الفن من شفتي
نيلاً يرقرق حين أسأله
لو أنه أصغى لنبض دمي
ومضى إلى قلبي يواصله
قد كنت أبحر في عوالمه
أزجي الهوى شعراً وأرسله
ينداح أنغامًا على وترٍ
وترق أنسامًا خمائله
لكنه أصغى لساريةٍ
تغشى سماء الحب. تعقله

ولــربمــا شــاقــته نــرجــســة
فــهــوى لــعــالمــهــا يــخــايــله

***

قــد كــان لى فى الحــب مــســتــبق
تــنــمــى إلى الــعــلــيــا شــمــائــله
حــاشــا أمُنُ فــلــيــس من شــيــمى
والــســبــق بــالمــعــروف أجــمــلــه
لــكنّ قــلــبًــا عــشــت أحــمــلــه
يــحــدو خــطــاه الــشــوق والــوله
يــأسى إذا مــا لامــســتــه يــد
بمــدىً من الإعــنــات يــعــضــله

***

أولــيــتــه ودًا أديــن بــه
ويــســاق مــنــى بــالــوفــاء له
قــدكــنــت أرجــو أن يــواصــلــنى
وإلى دمــى المــشــبــوب يــوصــله
قــد كــان يــهــتــف لــى فــتــمــلــؤنى
من ســاحــة الــبــشــرى نــوائــله
لــكــنــه مــا عــاد واعــجــبى
لمــا نــأت عــنــى رســائــله .

أسفى على ميثاق عروتنا
تعدو الرياح الهوج تقتله
من غير سالفة ولا قود
توقى على ذنب غوائله
***
فكرى يسافر فى المدى قلقًا
أمضى إلى ظنى أسائله
مابالة والعقد متصل
يغدو لموثقة فيفصله
لا شك حاكوا حوله شركًا
فهوى إلى كيد يعاجله
لكن أسائل أين فطنته
تنجيه لو تضريِ حبائله
ولقد أعود إليه أعذره
ويهيب بى ظنى فأحمله
للشعر شيطاًن ولكنه
شيطان أقوال تغازله
ولربما أضحى غداة غدٍ
ينداح للشعراء طائله
يهوى بقدر الشعر يلوي به
ليصير فى كفيه مقتله

ويميـــــله لـــهـــوى يـــراد له

وإلى هـــوى لـــو شـــاء يـــعـــدله

***

يـــا راحلاً والأفق مـــعـــتـــكـــرٌ

بـــالـــغـــيم تـــضـــنـــيه رواحـــله

آسى لمن تـــعـــلـــيه قـــامـــته

يـــهـــوى بـــهـــا لمـــا يـــراد له

بين يَدَىْ مدينة مقاتلة

«فى الذكرى السابعة والأربعين

للعدوان الثلاثى على مدينة بورسعيد»

«1»

كان عهداً من الصبا والصباية

كم تملَّيتُ عذبه وعذابه

كان زهو الشباب يدفق فى العمر

كما الغيث ينتمى للسحابة

يسكب النور فى المشاعر فيضا

يعشق القلب دفقه وانسكابه

يتملاه كالعصافير شدواً

وكقطر الندى وصوت الربابة

يحسن الظن بالمقادير تجرى

لا تماريه شكه وارتيابه

يتعاطى الهوى مع الكون شعراً
مرحًا بالهوى يعيش شبابه
قدتمادى به انعطافًا وشوقًا
ووعاه قراءةً وكتابة
جُنَّ بالشعر والغناء وماجت
بين جنبيه فورةٌ مستطابة
للأهازيج وارتعاش المرايا
وصدى البحر مستفزاً عبابه
لم ترعه الحياةُ بعدُ ولم تر
مِ خطاه لساحة مسترابة
كان كالنسمة المهيضة تسرى
في المساء الكظيم تحيى جنابه
كانتشاء الربيع. كالصبح يندا
ح مع النور شاقه واستطابه

***

«2»

وإذا بغتةً يجن نذير
ويعادي به عدوٌّ مغير
كُبريان استعانتا بصغير
مَدّهُ كيده اللئيم الحقير

حين ماجت بنا الرياح العواتى

واستثار المدى حديثٌ مثير

واستفزّ الإباء عبر بلادى

حقها الضائع الحسير الأسير

فاستردته عنوةً واقتدارا

واعتلى متنه العليم الخبير

أجمعوا أمرهم وجاءوا بليل

نجمه مطفأٌ عميٌ ضرير

وإذا فى الدروب شعبٌ عصىٌ

تحت أردانه يفور النكير

كان شعبًا مسالمًا لا يواتَى

فى بشاشاته العتىُّ العسير

وحفيًا مصافيًا ذا مراحٍ

دينه العفو والرضا والسرور

حالمًا يعشق الغناء رهيفًا

لهواه بكل فن حضور

لم يبادر سواه بالسوء يوما

لا ولم يوق شره المستطير

فإذا الشعب حين جاءوا بليلٍ

عاصفٌ قاصفٌ هصورٌ جَسور

صار عزم الرجال طوفان نارٍ
وعدا عمره الصبى الغرير
أعجلته الملاحم البيض حتى
ماج فى عزمه الأسن الكبير
وإذا فى الدروب تنمو الأسا
طير إذا جُنَّ فى القلوب السعير
دونها فيلق تداعى شظايا
حين ضاق المدى وعزَّ النصير

***

(3)

ذلك العهد فى خضم التواريخ
وفى غمرة الليالى العنيدة
يا شباب المدينة الغض مهلاً
هل سألتم أيامكم أن تعيده؟
هل سألتم آباءكم كيف عانوا
فى لظى الهول ناره أو حديده؟
كيف أضحوا غداة يوم ثقيل
مستثير بروقه أو رعوده
قاذفات النيران تنفث هولاً
تتمادى به الرياح الشديدة

وعلى الشاطئ المباغت بالهول
يمور الشيطان يحصى جنوده
وإذا أسفل الكبائن تندا
ح رياحٌ مسوّمات عنيدة
وإذا فتيةٌ تلفعت المجد
أرادته حيّةٌ أو شهيدة
برزت للعدو تلقاه صيداً
عقدت عزمها على أن تصيده

***

هل سألتم آباءكم فى «عبادى»
كيف يوم الوعيد أوفى وعيده؟
فى «الجميل» الذى تمثل عيداً
مهرجانًا للذكريات المجيدة
مثلكم فتية ترامت خطاها
شاخصات إلى السماء البعيدة
سدت الأفق بالمظلات حتى
لم تعد فيه فرجة مستزيدة
جحفلٌ بالغٌ مداه من الروع
ومستنصر خطاه المريدة
صار فى قبضة المغاوير بعضًا
من شظايا وبعض بعضٍ بديده

قبل أن تهبط المظلات تهوى
طعمةً للفناء تعلى رصيده
والنداء المسوّم الروح يتلو
ويغنى فى كل أفق قصيدة
مثلما عازف يوقع لحنًا
فتعيد الآفاق عذبًا نشيده

***

هل سألتم آباءكم كيف كانوا
فى عيون الردى عيونًا جديدة؟
ترقب اللحظة التى يتسامى
دونها الموت للحياة الرغيدة
كيف كان «المناخ» جذوة نار
والعقيلاتُ هائمات ٍ شديدة
قبل أن يصبح الضرام ركامًا
وتصيد اللظى حطامًا بديدة
كيف عسران والرفاق تنادوا
لمقام الخلود يدعو شهيده
فإذا منهم الذى صار روحًا
بارك الله فى الشهادة عيده
وإذا منهم الذى صار رمزًا
نتملاه فى حياةٍ مديدة

حين صاروا كتاب عشق تليدٍ
وهب الله للزمان خلوده
يوغل الدهر في المسير وتبقى
ذكريات النضال فيهم جديدة

***

يا شباب المدينة الغضّ هلاّ
قد وعيتم آيات عزٍ مجيدة
أينما بادرت خطاكم نهاراً
أو أظلتكم الأماسي الرغيدة
في «الزهور» التي ترامت رحاباً
و«العبور» التى تنامت مديدة
وعلى شرف «السلام» وفى الأر
جاء تختال بالحياة السعيدة
لم تعيشوا مشاهد العز تترى
بالذى كان حين أعلت بنوده
هذه الأرض قبلوها وعودوا
باركوا تحتها الرفات الشهيدة
واجعلوا اليوم من ثراها مصلًّى
واجعلوها عقيدةً فى العقيدة
هى أهدتكم التواريخ مجداً
كلما أوغلت مضت كى تعيده

هى فوق الزمان ركن «مشيد»

دونه توهن القلاع المشيدة

وهى فى إرثكم قلادةُ عزٍ

توجت مفرق الزمان وجيده

تلك أمجادكم فعضوا عليها

ورِّثوها الزمان تحيى تليدة

وهى ديوان عشكقم فاحفظوه

واقرءوا ورده وغنوا نشيدهْ

من مفكرة مواطن مصرى

غداه السابع من أكتوبر عام 1973

كنت استخفيت وراء قناع من فاجعتى
أتلمس وجهًا غير الوجه
وسمتًا لا يفشينى للغرباء
كنت تماديت إلى أكنان الظلمة
أبحث لى عن مأوى
يسترنى عن حدقات الأعين
لا تتغامز بى
تصنع من قصة عُريى
وحكاياتٍ تتعقبني ذعرا
أمثولة عارٍ يمسخنى قزمًا مهزولا
فلقًا . منداح السيرة

ينضح من آبار النقمة
تقرئ كل الكون بيانى الخائر
وتقاويم الذعر الناشب فى الأضلاع الصدئة

***

مذهولاً كنت أمارس دهشتى المرقومة فى العينين
وفى أفنية القلب المضنى
أتمثل إخوتى الملقين على صحراء التيه
وبنىّ المنسلّين لواذا
يترجون مساحة ظل تؤويهم
أوقطرة ماء

***

قدكنت أجندل تحت شموس لا تعرفنى
ويساوم فىّ الليل طقوس الحزن
يمارس فىّ مراسيم الوقت الممرور
وأنا منداح فى عاصفة خرقاء غبية
تمسخ تاريخى وتقاويم وجودى
تنسينى زمنًا أبلق
كنت أعاقر فيه الحلم بهيًّا مفتونًا نزقا
لا أذكر إلا زمن الصاخة
وتهاويل الفزع المجنون

***

قدكنت وراء العتمة أجهد أن أستبدل ثوبى
بثياب لا ينكرنى فيها الوقت
ولا تعرفها فىّ عيون الشمّاتين
كنت استخفاءً من أحداق الشمس
أمزق أوراقى وبطاقة تعريفى
أنحل لى سمتًا واسمًا وتضاريس وبيتا
وأبدل فى عنوانى كل مساءٍ رقما

***

ومجازًا من عريى وضياعى واستخذ اء خطاى
قد كنت كذوبًا أزعم لى
عُرفاءَ وقربى ومريدين
ورفاقًا لا ينمون لصدقى
وأصولا لا تنتسب لعرقى
وكتابًا وتواريخ وزلفى لا تنحاز إلىّ

***

وإذا بى
ذات يوم ناتئ من زمن
لم يكن يوحى بظل لا ولا شمس ولا ليل مضوى
ذات يوم
غادر الظلمة منسَلاً إلى عمق التواريخ البهية
وإلى صوب التراتيل النبية

وإلى المعراج يفضى
للسماوات المضيئات العليّة
وإذا الأفياء تنهلّ وتترى
بالفيوض النيرات القدسيّة
وإذا العالم يرتجُّ ويصغي
زائغ الفكر مهولاً
بالفجاءات التى تذهل ألباب الحبارى يكذب الظن
ويُولى الأمر دنيا من تهاريل السكارى
يمسح الظلمة عن وجهٍ تمادى
يوسع الأفق بلا ذنب تولاه اعتذارا
ثم أمسى
ليس يوليه تآويل المقولات الكذوب
لا ولا يوليه وجهًا مستعارا
دونه تسَّاقط الأوجه ذلاً وانكسارا

***

وإذا ابى
فى مساءٍ وضحىً
أحتمى فى كنف النور بمأوى الأصفياء
وأخلّى موقعى الموسوم فى ليل اليتامى الغرباء
أذّن الفجرعلى ساريتى
وانطوى بى زمن التيه وعادت

لى تواريخى البتول
فجرى المنداح أبقى لى من العمر بقايا
موفدات من سماء المجد تنهلُ مرايا
رد لى كينونتى الملقاة فى ليلٍ خرافىٍّ مداه
سدّد الدين وأوفى
بتواريخ انبعاثى للحياة
أرتدى ثوبى الذى حاكته لى
كفه البّرة من زهو الشموس
ومن الأفراح فى عزف الرياح
من صدى الأنباء مما تنجلي عن وجهه صحف الصباح
تتداعى بالنبوءات التى كنَّ خيالا
والتى كن ضلالا
خلف ألباب تراهن عماءً وخبالا
ثم أضحين كتابًا
قوله الصدق ودعواه اليقين
واهم من يتداعى
بالنبوءات المهيضات الكذوب
من يداجى الفجر بالزور ويرديه قتيلا
من يرى فى صحوة الشمس دليلاً مستحيلا
يفترى الزيف ويوحى بالمقولات الرديئة
من يبيع الصدق مغلولاً مغمى

بتآويل الخطيئة

***

وإذا بين مساءٍ وضحى
عرف النور طريقه
وترامت فى مدى الأكوان آيات صديقة
عندها أدركت لي بيتًا وسمتًا وتضاريس وعنوانًا جليًّا
وبدا وجهى مختالا فخوراً وحفيا
ودمى المنساب عطراً
فى مدى التيه زكيا
كاد أن يصبح فى الكون رسولا ونبيا
وإذا بى
أقر الرحلة فى سيناء أتلوها كتابا للصلاة
فوقها قد صلّت العصر جنود
وبنود وجباه وشفاه
وتسابيح وأوراد بريئة
وسوافيها التى انساحت إلى الوادى
بطاقات مضيئة
تحمل البشرى بيوم العيد
والزهو بأوب الغرباء
بالجباه السمر ترتاد مراد الكبرياء
وتغادى ثأرها المضرم ناراً فى الصدور

يستحيل الثأر أنغامًا وعشقًا وتحايا
ونداءات سلام ظافر
مهرجانًا للأناشيد شموسًا ومرايا
وارتداداً للمواعيد التى ما أخلفتها
دورة التاريخ منذ انداحت الأرض الخصيبة
تهب الدنيا فراعين ومجداً ومواسم
وارتواء من شفاه النيل تنهلُّ ندى للعالمين
تحمل الإبريق والكاس وتسقى الظامئين
برّةً معطاءَ يحصى عمرها عمر السنين.

شكوتك للعشق

علی عهد أیامنا کنت لی
حبیبًا قریبًا کما کنت لك
وکنتَ لعینّی أفراحها
وکنت لقلبی ملیکًا ملك
وکنتُ مناك التی ترتجیها
وکنتُ هواك الذی طاب لك
فکیف تحولت عن دربنا
ومن ذا الذی یا تری بدلك
حفظتك بالروح ظمآنة
وغلّقت روحی عمّن سواك
وأغمضت عيني عن كل شمس
تخايل بالنور حتي أراك

وكـنتُ إذا مـا تـراءت لـقـلـبـي
ظلال من الـشك تحـدو خـطـاك
أجـادل بـالـروح روحى وأمـضى
عـــلى أملٍ كـــاذبٍ في هـــواك

***

أأ غـــرى فـــؤادك دربٌ غـــريبٌ
ولاح لـعـيـنـيك أنـسـا وطـيـبـا
فـرحت تجـرّب هـذا الـطـريق
وعـدتُ أنـا مـنك دربًـا غـريـبـا
أم ارتـــدّ فـــيك غـــرامٌ قـــديمٌ
صـحـا بـعـد أن نـام نـومًا عـجيبـا
فـســارعت تحـيـى مـواعــيـده
وكـــان غـرامى ادعـاءً كـذوبـا

***

شـكـوتك لـلـعـشق لما يـصـيـر
عـــهـودًا مـوثـقـةً بـالـوفـاء
وقـد عـلـمـتـنى خـطـايـاك أنى
ألـوذ من الـعـشق بـالـكـبـريـاء
وأن أتحـدي تحـدّى غـرامًا مـريبًـا
يـطـيـر به الـغـدر أنّى يـشـاء
فـمـا لى سـوى عـزتى مـوطن
ومــالى ســوى كـبـريـائى رداء

النهايــات

كلما عنّ لفكرى
أن عمرالورد محسوب بنفح الطل
باستغشاء فىء الظل
بالريح التى تومض إيماضًا خفيًا
بارتواء الليل من أنداء عطر فى المساء
أن فىء النهر مندور بفىء الوقت
مسطور بما قد تصطفيه الريح
رفدًا وعطاءَ
أن ميثاق اندلاع الشمس فى الأرض صباحًا ومساءَ
زهوةٌ فى الأفق تنخلّ عماءً فى السماء
حينما يرْخى على الكون من العتمة ستر وغطاء

أن شوق المزنة المرخاة غيثا
واندفاقًا وانعتاقا
قد تداعى ظمأ القيعان يحسوه ترابا
وتداعت بعده القيعان بيدًا ويبابا
لم تهيئ جدولا للطير ينداح لسقيا
حينما يوغل فيه القيظ يرديه قتيلا

***

النهايات سعير دافق مشتعل
والمطايا للنهايات عفيّه
وخطى الريح على الأفق عييّه
لا يواتيها المدى المبسوط أن تغوى بأشواق السفر
فالنهايات تهاويل تروع الليل
تنساح على خطو النهار
والمواعيد قفار
والمرايا فى انكسار الضوء إعصار ونار

***

حدثينى بالمدى يا هذه الريح العيية
وابسطى لى ساعةً تنشلنى
من تهاويمي التى ينبت فيها الارتحال
فكرةً مشلولة الساقين عجماء كليلة
حدثينى بالنهايات البعيدة حينما تقوين أن تمتد للأفق

ذراعاك العفية
تقبضين الأنجم الملقاة من خلف سديم الأحجيات

***

حدثينى عن براءاتى التى تعقلنى
وعن التوق الذى يوغل مسنونًا كحد السيف لكن فى الهواء
حينما يومض فى أفق النهايات الخواء
حدثى يا هذه الريح وقولى
كيف تفضى للمدى الرحب دروبٌ
ركزت فيها العلامات التى تبنيك دوما
أن خط السير مرصود مغمى
ليس يفضيك سوى للحافة الملساء تهوى
فى انحدار الصخر للبحر العميق

***

النهايات كتاب
أخرس الحرف مضىء بالتآويل المهيضة
وبأوراد التراتيل البغايا المفتراة
اقرئى لى يا عيون الريح سطرا
فى كتاب الزور ينهينى لوعد
لا تداجينى خطاه
يتنزى فى دمى حلمًا وشوقًا وانتظارًا
إن ترى خلف التآويل المهيضات البغايا

بارقًا ينهل ينهل يومًا
من متون الصدق
من لون البراءات البتول
فلعلى
لم تعد لى قدرة أحسن فيها
أنطق الحرف الذى صار مرايا حجرية
أو صدى برق كذوب خادع
ليس يوحى لى بظل
أو غمام أومطر

أبـــى

أيها الماثل دومًا فى دمائى

تستثير اللغة النشوى

وترتد إلى القلب وصايا

منذ أن رافقت دنياك صبيا

مستشارا بالهوى والدَّهش المعقود

خلف الأسئلة

وانداح القامة الفرعاء يوحى لى بها ظل المآذن

منذ أن شبَّ بقلبى

وتداعى فى تضاعيف وجودى

صوبك الممتد فى أعماق دنياى الصغيرة

يصطفى لى منك أفراحًا وليدة

أتملاّها بشوق المغرمين
وأنا أرتاد هذا الدهش الممتد فيّ
كل ما فيّ بدنياك حفيّ
بامتداداتك في فكرى التى لا تتناهى
والتى كنت بها بين لداتى أتباهى
كلما أذكر إذ كنت تماشينى صباحًا ومساءَ
مالئًا قبضتك البرّة بالكف الصبية
كان إحساسًا عجيبًا
يتمادى فى رؤاى
أننى أملك كل الكون يحصى لخيالى
كل ما أمّلت من كل الرغاب
كنت أنت القادر الأوفى لأن تملأنى
ثقةً تغنى خيالى
بمراياى التى أرقب فيها
كل أحلامى التى كنتَ أعيها
والتى لا يدّعى الطفل إزائى
فطنة تدنى مداها لليقين
وإذا ما انداحت الدنيا أمامى
صار لى منك كتابٌ
أتملّى فيه دنياك العجيبة

***

مقتراً لم تعطك الدنيا سوى كفيك
والقلب المنيبا
والمدى الممنوح للعشق لكى يغدو موصولاً رحيبا
واحتواء للمقادير تفاديها صيالاً واحتيالا
غير أنى شمت فيك العزة الفرعاء أتلوها كتابا
كلما أمعن فى أوراده
تستبيني
فيه أشواق الأباة الطيبين
ويلاقينى مليئًا
بارتعاش الخوف منسلا إلى ماء الوضوء
دينك العفوىُّ مغموسًا بخبز الفقراء
وتعاويذك ألا
يوجس الريب إلى خبز الكفاف
حين تستبرئ من أوزار دنيا المتعبين
لترى فى حلمك المعقود قبل الفجر
أطياف المواعيد البتول

***

كنتُ أنداح إلى القيعان
أرتادُ تباريح الليالى المطفأة
ربما شرّقت أوغرّبتُ أو شمألت
أوسرتُ جنوبا

موفداً من قلقٍ مضن

ومن حيرة شكٍ وارتياب

ومن الأوزار تنهال بها سوط عذاب

فوق ظهرى

حلكة الليل ووعثاءُ الدروب

علنى أظفر يوماً

بجني الفكرة يضوى فى ضميرى

غير أنى

وأنا المقرور بين الكتب فى ليل الشتاء

والمعانى فى اندلاع القيظ ألوان العناء

باحثًا عن وردة النار التى تشعل دربى

لم أجد لى فى ارتحالى المر بعضاً من بقايا

كاندفاق الحكمة المرخاة من كفيك

من بين الثنايا

لم تحزها من أساطير الزمان

لا ولم تقرأ بها سر بيان

إنما ألقت مداها

بين عطفيك المواثيق البريئات الوضيئة

من فيوض الله

من إخبات شوق المخبتين

***

حينما يزهى بما يؤثر عن ذخر وبسط وامتلاء
وبأشياعٍ وجاهٍ
وبتاريخ مضاء
كنت أزهى
بصيب العرق الناضح من كفيك
والمعقود تاجًا بجبينك
وبزنديك اللذين انتصبا
مثل تمثالين فى بهو الأساطير القديمة
كان إيثارك للجهد تواتيه اقتداراً واعتصارا
وتماريه لكى ينداح غوثًا للصغار
عزة أزهي بأن أحملها
فوق صدرى المرهف العارى وساما

***

كان يضنيك شقاء متعب محترق
أن ترى حلمك موءوداً فلا أمضى على الدرب المضىء
ولكيلا يستحيل الحلم ذكرى
لمدى ليلٍ صدىء
وردى شوقٍ برىء
كنت تستنسخ من ماعونك المكدود ماعونًا جديدا
وتباديني به
مفعم الخاطر بالحمد هنيئًا وسعيداً

أودع المنة فى قلبى وروحى وضميرى
ثم أمضى بالكفاف المانح القلب كنوزا
فأريك اللحظة المزهوة الجذلى
تباريك الفناء

***

ما يزال الدَّهش الطفلىّ فىّ
ماثلاً يملؤنى تيهًا وإعجابًا وعجبا
من شجون البحر تستهوى بها
دربًا فدربا
ذلك البحر الذى صغت لنا منه الأغانى
يا له من طائر مشتعل
فوق أبراجك من ذات العماد
يختفى حينًا . رخيًا
كلما أدعوه عاد
لأرى فيه المرايا
مشعلاتٍ
ببروق الماء والأصداف والتبر المذاب
وصبايا البحر
والجن الذى يسكن قيعان العباب
مالئًا كفىً من فيض الهدايا
من جنى كل البلاد

حين يمضى بى على ريح ذلول طيعة
في سكون الفصل أستاذى ينادى سندباد
كنت أنت الماثل الماضى على تلك المرايا
تستفز البحر والريح بلا ماءٍ وزاد
كنت أنت الباسط الغيب على درب خيالى والمواتى
بحكايات اندحار الموج والريح وأنواء الليالى
لا تبالى
أن يكون الموت مرصوداً على قوس المدار
أو يكون الليل موءوداً على صدر النهار

***

أيها الماثل دومًا فى الدماء
يا خيالاً
كلما حلّق فى الأفق نداء
جئتُ من خلفك مأمومًا أصلّى
رغم هذا السفر الممدود ما بين ضلوعى
وارتعاشاتك فى أفق النداءات العليّة
يا تباريحى الزكيّه
ومواعيد صلاتى
وفيوضات العطاء الموسميّة
ادعُ لى
وأنا المدعّو أن أملأ وردي بالدعاء

كلما وافى صباحٌ
كلما جَنّ مساء
كلما طاف بروحى
من محياك ضياء
من محيّاك ضياء
من محياك ضياء

إن البطولة لا تموت

«تأبين البطل الفدائى سيد عسران قاتل
كابتن وليمز قائد المخابرات البريطانى فى بورسعيد
خلال العدوان الثلاثى على المدينة عام 1956»

ذات انطفاءة مغربٍ
برز النَّعيُّ وقال لى: عسران مات
عُمّيتُ واستُغشيتُ وانجاب المدى
شيئًا فشيئًا قلتُ لا
يا سيدى
إن البطولة لا تموت
إن البطولة مثلُ حدِّ الشمس منهلاً بأبعاد المدى
تهبُ الحياةَ وتختفى بالأرض.
تحتضن السماء
وتمور فى الوجدان أشواقًا مراوغة دءوبا
أرأيتها يا سيدى شمسًا تموت؟!

وكمثل نَوْر البرق
ممتطيًا قباب النار
مندلعًا بأفنية الظلام
أرأيته يا سيدى برقًا يموت ؟ !
وكمثل موج البحر منبطحًا على الشطآن
موصولاً بسر الماء من تحت العباب
أرايته يا سيدى موجًا يموت ؟ !
وكمثل أمطار الشتاء تهلُّ فى ميقاتها العلوى
تمسح عن وجوه الأرض إعنات السنين
وتقر فى أرحامها
سرَّ اندلاع الأرض بالأفياء
توسعها نوالا
أرأيته يا سيدى مطراً يموت ؟ !
يا سيدى
إن البطولة لا تموت

***

دهرٌ يفوتُ وألف عادية تفوت
تتزاحم العثرات فوق دروبنا
نجتازها . تجتازنا
نمضى ونُقرئها السكوت
وتموت فوق كواهل الأيام
أشرعة تسابق فى المدى

كانت تحاذر أن تموت
لكنما عبق البطولة لا يموت

***

تتواصل الكرب التى ينشق عنها الليل
توغل خلف أصداء المدى
لكنها تنأى
وتبحر فى المسافات التى صدئت عليها الذكريات
تدور فى فلك صموت
تمضى تغادر أفقنا المشحون بالشجن المداور
تختفى تفنى. تموت
لكنما ألق البطولة لايموت

***

خمسون عاماً
والرؤى فى المشهد المأثور تومض فى جوانحنا
تحيا وتختصر المسافات العميقة
والسنين إلى السنين
لتزفه ألقًا
يصافح ذكريات العشق فى دمنا
ويولد فى تواريخ النضال

***

هذا الفتى المنساب فى دمنا
مازال فى خلد الزمان فتي صغيراً

عاصف الأحلام منداح الخطى
ما اختال يومًا بالبطولة
وهى فوق جبينه
تاج .مزامير . أغانٍ وابتهالاتٌ و راية
وسنا يشع وأنجم تضوى وإكليل وآية
يا سيدى
عسران لا ما مات
ما انداح مثل قوافل الموتى
تنهلُّ فى الميلاد . تحيا . ترتمى فى الكون
تمشى فى مناكبه . تموت
ما مات من ميلاده
وهج وسيرته انكباب فوق صدر الشمس
يقرؤها اندلاعًا واندفاعا
من خطوه
سور تضوى فى كتاب العشق يحكيها
المدى للأمسيات
من عشقه المرقوم فوق صحائف الأيام
يُتلي مثل أوراد القنوت
أكذا أيموت ؟ !
يا سيدى
إن البطولة لا تموت

غنيت مكة

مع الاعتذار لفيروز

غـنـيت مـكةً أهـلـهـا الـصـيـدا

وبـكـيت فـيـهـا الحـلم مـوءودا

وجثوت عـنـد البيت منـكسراً

أدعـوه ربَّ الـبـيتّ مـعـبـودا

وأتـيـتـهـا دار المـعـز فـمـا

أبـصـرت فـيـهـا الـعـزَّ مـعـقـودا

سـاءلـتُ نـهـرالـنـيـل عن لمع

فى شـطـه كـانت عـنـاقـيـدا

مـا بـالـهـا أشـواقـهـا انـطـفـأت

أمـسـين تـسـهـيـداً وتـنـهـيـدا

أهـوي الـنـذيـرُ على بـشـاشـتـهـا

وأمـات فـيـهـا الـبـشـر والـعـيـدا

لمـا تـداعى خـلف أمـتـها

كـيـدٌ لـئـيم دونـها كـيـدا

قـطب الـزمـان وخـلـفه ذنبٌ

دانت لـه الـدنـيـا مـواعـيـداً

يُـتـلىَ عـلى إيـقـاعه نـغمٌ

من شـذّ عـنه بـات مـفـقـودا

***

وعـلى خـلـيج الـنـار راحـلـتي

لم تـلق إلا الـدرب مـسـدودا

أربـابه أضـحـواْ لخـاتـلـهم

في الحب عـشـاقًـا مـعـامـيـدا

لا يـنـشـدون عـلى ربـابـته

إلا كـمـا يـهـوى الأنـاشـيـدا

شـاءوا الخـنـوع لـه فـصـيـرهم

جـرذان لـيـلٍ . رمـةً .دودا

بـاعـوا الـعـراق لـه بلا ثـمن

إلا بـوعـدٍ كـان مـوعـودا

أ ن يـربـعـوا في ظل قـامـته

إن كـان عـهد الـذئب مـعـهـودا

ثـأر الـعـراق إذا يـطـار له

بـاءوا بـه سـوداً مـنـاكـيـدا

صَوْبُ الخليج نأى لمنتجع

يبغى لديه الآن تجديدا

ساءلتُ وجه الشمس عن ألق

فى أفقها قد كان مشهودا

عن عارضٍ ينساب من مضرٍ

قد كان فى الأعراق ممدودا

واحسرتا ألفيته مزقًا

ينأى به تيهًا وتشريدا

***

ماريتُ وجه الشام أحسبه

حلمى الذى مازال مرصودا

أحصيته فى الثائرين فما

أبصرتُ فيه العزم مشدودا

قد كان يشدو فى ملاحمه

يشجى الحنين ويشعل الجودا

أضحي وصمت فى الملهاة فما

ينداح قيثاراً ولا عودا

أضحى الكريم فتى يراد له

لو أنه فى قيده قيدا

***

وسـريـت للأقـصى المـبـارك لا

آلـوه تـعـظـيـمًـا وتـمـجـيـدا

وأعــيــذه أن يــســتــكــين إذا

غــالــوا به الأفــراح والـعــيـدا

وأذوب في روح الـشــهــيـد إذا

تـقـصى الـشـهـادة عـاد مـولـودا

تــتــنــاسل الأرواح من دمه

وتــعــود تـشـتـاق المـواعـيـدا

***

يـا نـائـمـين عـلى أسـرتـهـم

كـيـف المـنى أمـسـت أغـاريـدا

أغـفـوا عـلى الأحـلام وارفـة

خـضـراء فـانـهـلـت عـنـاقـيـدا

كـيـف الـهـوى لـو أن طـائـركم

عن أيـكـه يـنـداح مـطـرودا

يـا عـاره من بـاع نـخـوتـه

وشـرى بـهـا أحلامـه الـسـودا

***

فـتـشـت عـن نـار مـقـدسـة

ألـقـى بـهـا عـربـا أجـاويـدا

لا يوثقون إلى أعنتهم

دربا غوى القصد منكودا

ما انداح إلا للسراب وما

ألفيت إلا مسلمًا جيدا

للطوق يهديه إلى زمن

يضرى به نارًا وأخدودا

***

غنيت مكة أهلها الصيدا

وبكيت فيها الحلم موءودا

ومضيتُ أحصيها مقابرنا

وكللت إحصاء وتعديدا

أمثالنا عدًا وما برحت

تجتاح فينا الماء والبيدا

كنا بأيدينا نشيدها

حتى ملأنا الأرض تشييدا

هو دين فى ذمتى

إلى رفيقة العمر

وهن العظم واستحالت برأسى

عتمة الليل أنجمًا وجليدا

ومشى الدهر فى كيانى حثيثًا

ولقد كان جلمدا وحديدا

رعشة وانحناء ظهر وذكرى

عنفوان غدا دبيبا وئيدا

وسهام مصوبات يراها

عاصف جن فى الدماء عنيدا

ذاك ما صرت مستكينا إليه

ومسوقًا إليه سوقًا شديدا

غير أنى وتحت ظلك أغفو

مفعم القلب راضيًا وسعيدا

لا أبـالى بمـا تـكن الـلـيـالى
منـعـمًا جـاء أو عـصيًا كـنودا

***

حين غشى الضباب لون دروبى
وتـمـادى الـظلام فى نـاظريـا
وغدت رحلتى إلى الكتب والأقلام
دربـا مـشـاكـسًا وعـصـيّـا
كنت لى أعينى وكنت يمينى
والمرايا التى تفيض عليًا
حين غامت خواطرى وخيالى
وتخبطت فى الظنون عميًا
وتماديت فى المتاهات حتى
صرت حيران ناسيا منسيًا
كنت لى فيض خاطرى وهداه
ودليلى يقود خطوى إليّا
لا عدمت الضياء من نور عينيك
ولا فـطـنـة تـضىء المحيًّـا

***

صرت من طول ما استنفزتك أوجاء
عى طبيبى ومستراد دوائى

لا تنامين قبل أن تطمئني
أنني نلت من دواء المساء
وتبيتين تحلمين بأني
في غدٍ وارد مراد الشفاء
ربما تعنفين يومًا إذا ما
ضقت من كثرة الهموم إزائي
فتراخيت عن دواء مرير
أو تخليت عن نظام وقائي
غير أني أرى الحنان دفيئًا
مثل خفق السنا ودفق السماء
وأري الدمع موشكًا أن يغني
خلف جفنيك في لحون الوفاء
***
بحياتي التي سهرت عليها
وبقلبي الذي يذوب حنينا
لست أوفيك بعض ما في يقيني
من أياد تواصلت بي سنينا
كنت لي خيمة تظلل عمراً
كان للشمس والعراء رهينا
فتماديت في هواه نسيمًا
وتراميت في صداه لحونا

يا لهـا الآن من خـواطـر تـسـري

في ضـمـيـر المدي تـثـيـر الشجـونا

قـد تـولى زمـانـنـا واحـتـوانـا

عـالـم بـالأسى يـجن جـنـونـا

عـالـم مـثـقـل الخطى بـالخـطـايا

ثـائـر الـنـار مـسـتـفـزاً حـرونـا

كـنت لي فـيه واحـتي وكـرومي

ونـدامـاي والألـيـف الأمـيـنـا

يـا شعـاعـاً من المنى كـيف أنسى

مَـوْثـقـاً مـغـدقـاً وعـهـداً مـتـيـنـا

كلُّ مـا كـنـتـه حـنـانـاً وحـبـاً

واحـتـفـاءً وفـرحـةً وفـتـونـا

هـو دين في ذمـتي سـوف أبـقى

لمدى الـعـمـر بـالـوفـاء مـديـنـا

النصر آتٍ يا أمير المؤمنين

إلى أبطال المقاومة العراقية البواسل

هو ذا يعود محرَّمُ
يتلو ملاحمه الدمُ
ويعود مشتملاً عباءته المدممة القديمة
متلفعًا
أحزانه الملتاثة الأشواق بالوجع القديم
هو ذا يعود محرم
يدلي بذكرى النار والإعصار
يوغل في التواريخ المهيضة
أيامه تنسلُّ عبر زمانها
سودًا كألسنة الحراب
هي ذي تعاود كربلاء النوح من خلف القتام

وعلى ثراها المضرم القانى المضمخ بالتآويل
البريئة
ينداح من فيض السماء
كأنه الدّيم السكوب المترعة
ما أروعه
ما أسجعه
هوذا الحسين يعود يفترع المدى
ويشق قلب الليل تسبقه تباشير الصباح
هو ذا يعود مضرجًا بالعطر
ممتطيا متون الريح
منهلا بلون الكبرياء
هو ذا أضاء شموعه
ولوى أعنته وجاء
وعلى ميامنه تخب كتائب
تنداح بالألق المبين
وبشائر الفتح المسافر للمدى
حتى وإن حمّ الردى
حتى وإن ساخت قوائم خيله الفرعاء
فى اليوم الحزين
فالنصر آتٍ يا أمير المؤمنين
هوذا الحسين يعود منكسر القنا

ويعود منتصرالإياب
ما عمره عن ساحة الأشواق غاب
هوذا يعود كأنه
ما ناشه ظفر وما أرداه ناب
لا تنحنى عقبى سوافيها العقاب
حتي وإن خارت قوادمها
وتقاذفتها الريح واندلعت شظايا
ستموت وهى تراود الآفاق عن أحلامها
وتبثها لغةً تعانق فى مساريها النجوم
هو ذا يعود
وكتابه بيمينه
قسم ليخترمن غاشية الردى
ليعود في الأسطورة النشوى
شهيداً من جديد

***

هو ذا يزيد وها هو الثقفي جاء
ليخوض كالإعصار فى لجج الدماء
المشهد المنكود يوغل آتيًا
من خلف أسوار الزمان
ليعاود المأساة. يوحيها صدى
لا يستكين ولا يغادر. لا يريم

هو ذا الحسين تقاسمت
أشلاءه الآفاق تنسله لهيبا
ينداح فى كل المدائن
يوقظ الألق المغادر من سنين

***

قد كان يفترش الثرى
ومداه يولد فى الثريا
الآن تحتشد الجموع المصطفاة المؤمنة
لترده جسداً يطل على التواريخ الحزينة
هى ذى عقائله ينحن وينتحبن يقمن مأتمه
على كل الدروب
وبنوه فى كل المفارق يرحلون
من خلفه تعدو الكتائب مثقلات بالأقاويل الكذوب
مستنسخاتٍ من زمانٍ تُفْترى فيه البراءة
يستحيل الصدق مَينا
يحملن ألوية كرايات البغايا
يتلون أدعية تحاذر أن تجادل عن نبى
يختانها النبأ الدعى
تنبو بها الدنيا سماواتٍ وآفاقًا وأرضا
ويقمن فوق ضفافها الأوزار
نافلة وفرضا

وصدى يدور مع المواثيق المراوغة الخئون
هو ذا الحسين يعود مندلقا على وجه الثرى
يجرى جزاء المارقين وتفترى فيه الدعاوى
ويبوء بالنار التى آوته فى وهج السنين
هو ذا الحسين يعود فارتقبوا
كيف الحسين يعاجل القدر القديم

من أحاديث الهدهد

115

لسليمان الحكيم

لا تلمنى يا نبى الله وامنحنى من الصفح نصيبا
كثرت منى الخطايا
واستدارت بى الرياح الهوج أن أمثل
قدام النبى
قد تقاصيتُ عن الساحة .باءت
بخطاياي المواقيت الكنود
وترامت بى غواياتى لألقى ما تداعى
فى حنايا الكائن المخلوق
من توقٍ إلى هتك الغيوب
ما تكن الحجب القصوى وما يومض هَوْنا
خلف أستار المجاهيل الخوافى

غير أنى
لم أكن عن دربك المرصود يومًا بقّصىّ
ما تراخيتُ عن البر الذى أوصيتنى
ما تداعى خلف أشواقى جبار شقىّ
لا وما أمسيتُ يوما
ذلك الروح العصىّ
يا نبى الله إنى كنت أمسيتُ شغوفا
منذ أن غاديتها بلقيس تعنو للشموس
أن أرود الأرض جوّابًا لعلّى
ألتقى ناسًا تخلواْ
عن نواميس نماها الله فى الكون الكبير
عن تجلّى فطرة الخالق فى الناس
خشوعًا وخضوعا
علنا نهدى هداها
يا نبىّ الله تنحاز لتقوى المتقين
فتمادى بى جناحاى إلى أرض بعيدة
فزعًا. مستنفز الروح. مليئًا دهشا
مستثارا بالذى عاينت . مأخوذا مهيجا
أبصرت عيناى قوما
ما تداعواْ دون وجه الله للشمس إلها
لا وما انداحوا ينيبون إلى وجه وثن

ربما صلوا وصاموا
ربما أفضوا إلى المعمور عمارا ورهطا وحجيجا
غير أنى يا نبى الله أبصرت أناسًا
يعبدون الناس إن باءوا إليهم بولاء
وينيبون إلى صوب العتاة المرجفين
ويبيعون الدم الحرَّ الذى كان حراما
لبغاة الأرض عقبى أن يجازوه ولاء
أن يحوزوا حظوة مملولة
لا يجا زاها عبيد
دونهم قسط الرضى يذلى به بغى البغاة
غير أنى يا نبى الله أبصرت ملوكًا
قد تجافوا عن صراط العدل واستغشوا به
ربقة الذل يسيرون بها صوب رقاب البائسين
يسلمون الحوزة المرعية العصماء فى أمر الرعية
لطواغيت استباحوا
بقضاء السيف والنطع وطرق الغالبين
ساحة الحلم بأشواق الحياري المتعبين
غير أنى يا نبى الله أبصرت شعوبًا
ضعة تستمرئ الذل
وتستعذب وطء النعل
تنقاد بقيد الحائرين

تنحنى للسوط والسائط تعطى
قبضة الجلاد ما يعطى على النطع الذبيح
وتباريه خنوعًا
واندحارا واصطبارا
لو يباريها عتواً
وعلوا واقتدارا
ذاك ما عاق مسيرى
عقل الطوق وأزرى بالجناح
فترامت بى إلى التيه تهاويل الرياح
وانتهى بى يا نبى الله أن أوغل فى درب الخطايا
غير أنى
بارئًا من ذمة العصيان منداحًا إلى
ساحة الغفران أوابًا منيبا
أترجاك لذنبى
موئلا . براً . رحيبا
لا تلمنى يا نبى الله
وامنحنى من الصفح نصيبا

أولد فى عينيك

لم أكن أعلم يومًا
أن للبحر سهامًا وتصاويب ورميا
أن للنجم ارتعاشًا ذهبيا
فى عيون الجدول المنساب ما بين الحقول
أن للأسرار فى عمق المدى
سطوة تسبى وسلطانا مهيبا
لم أكن أبصر دنيا
يتوارى الحلم فى أطيافها خلف الجنون
ويغنى
صولة العشق وأصداء الجنون
قبل أن أولد فى عينيك مولودًا حفيا

قبسًا في أول الضوء الذى ينسل من نجم بعيد
أن ميلادًا جديدًا يتوالى
للأغاريد وللعطر وللطير المغنى
كلما
عانقت عينيك أشواق عيونى

***

لم يكن يخطر لى عبر خيالى
قبل أن أولد فى عينيك
عصفورًا لعوبًا نزقا
أن في العينين لو شاء الهوى
عالمًا من فتن العشق غوى
يوقظ الروح فيعدو خلفه
بفؤاد فى مداه احترقا

***

يا لها من شرفات
كلما أمعنت كى أرتادها
سفرا يدنى لقلبى مشتهاه
خلت أنى كطيور البحر تنداح بعيدا
كى ترود الأفق الفاني على شوق التداني
خلت أنى
فوق متن الريح أساقط غيًا

ينبت العشق على الأرض أحباء ندامى وسكارى
ولحونًا
فى حلوق الطير تنهل بأشواق الغناء
وتراتيل وأوراد صلاة وابتهال
تتداعى فى قلوب العاشقين

***

ذلك الميلاد أنسانى تواريخى القديمة
وتمادى فى تقاويمى شموسًا طَيعة
وارتعاشات فصول مترعة
وجنى قبل أوان يجني
ما أينعه
ذلك الميلاد أهدانى نشيدا
كلما غنيته خيلت أنى
عشت فى إيقاعه المرهف ميلاداً جديداً

المرايـــا

كنتَ مسرى لظنونى
ومرادا لاشتياقاتٍ عيونى
أيها الكون الذى كان ظلالا وخبايا
يوسع الفكرة أن تومض فى الروح
هلالا يتنامى
صوراً شتى وحلما
وخيالا واشتعالا
ومدى أوغل فيه سفراً
كلما أمعن فكرى
فى مراياك ارتحالا
ذلك الطير الذى أودعه الله تباريح القلوب
وحباه الرغبة العجلى

لكى يوهن أستار الغيوب
كلما بادره الشوق تداعى
وترامى للوثوب
ذلك الحلم الذى يولد وهنًا فى الليالى
يشعل التوق بقلبى
يسكب النور حيالى
لأرى وجه زمان مفعم
فى خفاياك التى كن مرايا لخيالى

***

فى فضاء الله . فى الكون الكبير المترامى
كانت الأقمار والشمس ودارات النجوم
والمدى الهائل يخفى خلفه
ألف دنيا تتوارى فى الغيوم
يثب الفكر على أبهائها
مستثاراً . مغرمًا . مستبقا
والخيال الجامح المجتاح نسر
يترامى مصعدا مخترقا
يوسع العالم دنيا
من رؤى تورق أحلامًا وشوقًا وظنونا
تسكب الروح بقلب الطين ينداح مدى
ثمل الأعطاف ينهلُّ جمالا وجلال

ويغنى الشعر موسيقا ترامت للسديم
واستطارت فى شعاب الأرض أنغاما
وزهوا وفتونا
ينطق الصخر بأشهى ما يقال
ويبوح العطر ينساب عبيرا فى التلال
يُرقِص النخل على مسرى الهوى
ويغادى النهر روحًا
يبسط الأرض نسيمًا وظلالا

***

كيف أمست كل هاتيك المجالى
والمجاهيل التى كانت مرادًا لخيالى
صفحة في مستراد ناصع
بائح بالسر يوحى لمواقيت التجلّى
كلّ ما دقّ وما رق وما
كان فى الغيهب ذرا وهباء
أنراها
بعد أن عرى مداها
ولع الإنسان بالإيغال خلف الظلمات
فتمادى يتقصى
كل درب لغة الغيم وتاها
أتراهاً

موحيات بعد بالروح الذى
يشعل النار بأشواق السنين

***

أيها الكون الذى انداح فما
عاد يخفى فيه ما كان خفيا
يتأبى الشعر أن يلقاك مجلًى لليقين
إنما يرضاك أن تبقى مراداً للظنون

كان الذى عشقته هنا

تواثبت أعنة الخيول فى دمى
كأنما على متونها استطارت النيران
تنبت فى جناحى الكسير ألف طائر يطير
تنقر الرياح فى براح جبهتى
وترتمى بى فى مدارها السوافى
سارٍ بلا حادٍ ولا جواد
مالى سوى توكئى على الحصى
سقايةٌ وظُلَّةٌ وفضلُ راد
أمضى وحولى التيه مطلق العنان
أسائل الركبان والوديان والقيعان
كيف السبيل الذى عشقته

وكيف آوى للمدى المشاكس الحرون

***

كان الذى عشقته هنا
إن جعت مد لى أطايب المنى
وإن ظمئت شق لى دوافق السواقى
وإن عييت كان رقية السلامة
وكان ترياق المسَهَّد الكظيم

***

كان الذى عشقته هنا
يصنع لى من أغنيات الليل فى السحر
براءة الجناح وامتلاءة الشراع بالرياح
إذا أردت أن أخوض رحلةً إلى القمر
وكان إن أردت أن أطول نجمة من العنان
يطير بى إلى مجرة السديم
لأجمع الأغانى الملقاة فى أزقة النجوم
هديةً أحيى بها غرامى القديم

***

كان الذى عشقته يبوح لى
فى عتمة الطلاسم المخبأة
بألف سرٍ عن أهلة السفر
وألف ألف خاطر

من رحلة العيون فى العيون
وكان مَنْ عشقته
مداد أحرفى
إذا أردت أن أحاور اندلاع لحظة الجنون
وأن أبوح بالذى يمور فى الظنون
وأن أرافق الطيور فى ارتحالها إلى النجوم

***

كان الذى عشقته
دليل أوبتى
لدى ارتحالى فى المغاور العتيمة
إلى جزائر المواجد الحميمة
يضيء لى مسارب الرجاء
وينثنى بى مصعدا إلى
إذا أردت أن أهلّ فى عباءة المطر

***

كان الذى عشقته
يملى على أحرف النداء
فأنثني أبعثر الحروف فى مرافئ السؤال
ألملم الظنون فى انعاطفها
أحجية عصيّة المنال
تمور فى انطفاء أعين المسافرين

وفى انكفاء لحظة المراوغة
لعلنى إذا ظفرت بالجواب
أحصيه فى دفاتر اليقين
وفى متون لحظة الإياب
وذات ليل خادع
مستوحش المدى
صحوت لم أجد لسمته صدى
عند السؤال لحظة الغناء والبكاء
وعند موعد ارتحالنا
إلى تخوم مرفأٍ
ظمآن لم نزره من سنين
فيا ترى
أين الذى عشقته ؟ !
هل ارتمى وراء حائط الزمان
أم استباحت روحه الهموم والأحزان ؟ !
أم خرّ طائراً مفزع المدى
مطأطئًا جناحه
ومُسْلمًا براحه
لقبضة السجان ؟ !

قارئة النجوم

أيتها الحسناء
يا رهيفة الخُطى
ويا رخيمة النداء
منذ متى وأنت تقرئين لى السماء
وترصدين لى مواقع النجوم
وتعقدين ألفة حميمة
ما بين شوقى الملهوفِ للقاء
وبين ما تشير فىّ الإصبع النحيلة

***

أيتها الحسناءُ
يا بهيّة الصبا

ويا سميّة القمر

منذ متى

وأنت تقرئين لى الطوالع المخبأة

من يوم أن بَصُرْتُ بالأهلة المنيرة

تنثال خلف خطوك الموقع الرهيف

والقامة الفرعاء صرح باذخ منيف

ومنذ أن أهللتّ كالغمام

تواصلين فى ندائك الرخيم

وتبسمين

وتعرضين لى قراءة النجوم

***

وعندما رضيت أن تحدثينى

عن قدرى المخبوء فى قرارة الزمن

وعن تواصلى مع اندفاقة العمر

تبينين زين ما تخبئ السنين

وتشعلين التوق والترقب المثير

والحنين

أحسست أننى أخون منطقى القديم

أبعثر المدى الذى ألفته

فى صحبة الأفكار والتماعة اليقين

وأننى أُودع ما حفظت من متون

لدى أكنة سوداء معتمة
وأننى
أهين تاريخًا من العناء والمكابدة
ومن تواصلى المذيب نور أعيني
مع انكبابى فوق ساحة الحروف
لكننى
أدمنت فيك متعة الحوار
والقلق المثير حيرتى
فى شوق الانتظار
كان الذى طوح بى لشاطئ المغامرة
ما تحملين يا حسنائى الجميلة
من ألقٍ يمور فى العيون
ومن ضحى يلمع فى نصاعة الجبين
ومن براءة فى الصمت والمحاورة
ومنطق لايعرف المداورة

***

لكننى والحق يا صبية
ما احتجت يوماِ أن أطل خلف حائط السنين
إذا ترامت بى وراءه المنى
وحلّق الخيال واستدار يمعن السؤال
لأعرف المقدور والمكتوب والمتاح

لكننى ما عشتها قضيّة
ليس لأنى مذعن
أعنو لسطوة الغيوب
ولا لأنى لا أكن رغبة
فى أن تجلى لى السوانح المؤجلة
لكن لأننى أعيش عالمًا
يشى إذا ما أشرق الصباح
بما يمور فى أكنّة المساء
وتنجلى عن أفقه شواهد المرايا
وما تخبئ الضمائر اللعوب فى النوايا
فعاد شأ ن الغيب حسبة موثقة
إذا تضيء الحاسبات ساحة اليقين
وتنثنى الدفاتر المريشة المصوّبة
تستطلع الغمام تستفتيه فى السؤال
فترتمى حيالها شواهد الظنون

***

يا طفلتى البريئة العيون
قد علمتنا حكمة السنين
إذا أبردنا أن نجوس فى عتامة الغيوب
وأن نطير للأهلّة المؤجلة
أن نمعن الترحال فى ا لدروب الوجلة

فتنجلى من بعد غاية المسير
وها هى الشواهد الأثيمة اللئيمة
فى عالم مضنى معذبٍ جريح
بألف منطق مداور تصيح
يأيها الملقين فى أزقة الزمن
المالئين ليله
بغفوةٍ غبية كسول
المدلجين فى ضلال ألف ليلة ملول
قوموا وحدقوا فى مقلة الغمام
لتعرفوا من بعد ألف عام
متى وكيف . . يهطل المطر

عتـــاب

ويـذكـرني أحـبـائي وتـبـقى

عـلى الـبـين المـؤرق لا تجـيب

أمـا تـدرى وأنت بـهـا عـلـيم

جراح البين كيف بها يـصـيب

أعـد لك الـشـهـور إذا تـوالت

لـعل لـقـاءنـا الآتى قـريب

ويـسـهـر فيك بالأشواق ليلى

وتـأرق لي الـنـجـوم فلا تـغـيب

عـهـدتك في الهوى وتراً يغنى

وفـيـه بـكل جـارحـة تـذوب

ومـا ألـفـيت مـنك عـلى بـعـادٍ

سـوى لـهف يـجن فلا يـشـوب

فـمـالك حـين أسـتـدنـيـك تـنـأي

ومـــالي عن ودادك لا أثـــوب



نجواي إليك

«يا أمي»

العصافير التى تغدو خفافا وثقالا
والنجيمات التى تورق فيئًا وظلالا
والحكايات التى تولد نشوى فى السحر
تتهادى فى انعطاف الليل أشواقًا
وفى صوب الغمام
وأحاديث القمر
والمدى يمثل عطفاه. يغنى
مولعًا بالشمس والظل وأعياد المطر
والفراشات اللواتى
يعتنقن النور شوقًا
ويراقصن الظلال

ويغنين أناشيد الضياء المترعة
واندياح العطر فى المرج ارتحالاً واغترابا

***

ذلك المحفل ينداح لعينىّ مرايا
مرحًا ينساب كالنسمة موسيقا خفية
فى أغانى الشفق المرخى على صدر الغروب
كنته لى
كلما خايل عينى
وجهك الماثل فى عينىَّ شمسًا لا تغيب

***

إيهِ يا أيتها الموجة من عطر التدانى
كيف بى أغدو مع الناس وأمضى فى الدروب
يشترينى النزق المنداح فى النهر العصىّ
ويبيع الشوق فى صدرى ارتمائى
فى الليالى المتعبة
وأنا فيك سرابٌ حائلٌ يمرق ما
بين الشعاب
كيف بى
تولد الرغبة للأشياء فى عينىّ أشواقًا مريضة
مثلما تولد ميلادًا عصيًّا
من ضرام النار أطياف الدخان

واشتياقاتى التى تبعث دومًا للحياة
كلما ماج بصدرى ظمأ
واستباحتنى على النار خطاه
كيف بى
لا أناديك فتمتد دروبى
تحت ضوء الشمس مجلى للرضا
وانعطافًا للمواعيد الخصيبة
وبساتين وأنداء ونُعمى
من ندى كفيك تهدينى صراط المهتدين

***

أظمأتنى وقدة الشمس على تيه الصحارى
وأنا وحدى بلا ظلك أعدو وأهيم
تائهًا فى عتمة الليل وفى قيظ النهار
أتشهّى
نسمةً من فيئك الممتد تسرى
ظلةً فوق جبينى
ودعاءً ضارعًا من شفتيك البرتين
من لظى النار يقينى
أين منك اللمسة المرخاة من كفيك
بردًا وسلاما
يا شعاعًا

من رضى الله ومن فيض دعاء الصالحين
أسمعينى صوتك البرَّ المواتى
بالحكايات القديمة
حدثينى مثلما كنت حديث الولع المشبوب
فى قلب الصبىّ
يتملّى فيك مبهوراً بأصداء الخيال
ويظل الليل مسحوراً مشوقا
للذى كان يقال

***

آه ما أغلى هداياك التى أهديتنى
وأنا فى زورق الأيام محمول إلى الأرض
البعيدة
كيف أنسى
ضمّةً من ساعديك
قبلةً من شفتيك
دمعةً تنهلُّ خرّى
برة من مقلتيك
آية تشرق إيمانًا وصبراً ويقينا
أن يعود الراحل الموغل للحضن الدفيء
حاملاً نعماه منهلاً حبوراً وسروراً

***

رغم ما تبلونى السبعون من جورْ السنين
والتجاريب التى أشعلن فودىً ضراما
وأنحن الدهر فوق الهيكل المضنى
وأوهين العظام
فأنا ما زلت هذا الطفل أهفو
للينابيع التى تدفق براً وحنانا
وأنا مازلتُ أرتاد مجاليك الخوالى
باحثًا عن فيئك الدافئ أستدنيه مأوى
علنى ألقى لديه الآن سلوى
توسع الخاطر أن يهجع مأنونًا رحيبا

***

ها هى الذكرى تنادينى فأهفو للنداء
وتواتينى بلحنٍ قدسى
ضارع يصعد بى صوب السماء
لألاقيك على مدرجها العلوىّ نوراً
وبهاء
يا شعاعًا
من رضى الله ومن فيض دعاء الصالحين
رحم الله زمانًا كنتِ لى
جنة المأوى ودنيا المسعدين

ارتحـــال

ها نحن نمضى فى ارتحالنا
تغذ سيرنا
إلى تخوم الأزمن البعيدة العصيّة
تلك التى لا تحتويها ساحة المدى
ولا تمر من معابر الحقب
ولا تعيش فى التقويم عمرها العتيم
تلك التى لم تحص بعد فى دفاتر السنين والحساب
ولم تقيد في متونها الشواهد المؤجلة

***

الآن نمضى فى ارتحالنا
لم ندر كيف نرصد الأزمة المسافرة

وأى ليل سوف يوقظ الرياح
في الأشرعة الممزقة
ها نحن نمضى فى ارتحالنا
وفى عيوننا
خارطةٌ عميَّةٌ مشوّشة
خيولنا
لا تستطيع أن تحاور الصخور. ترتمى
إلى أعنة السماء
لا تستطيع أن تمدَّ أذرعًا
إلى شموسٍ لم تغادر قبة السماء بعد
حتى زماننا القديم
لم نستطع أن نشعل الدروب فى مساره
لتستضىء رحلة القوافل المسافرة
مرتدة إلى المطالع البعيدة

***

ها نحن نمضى فى ارتحالنا
إلى دروب ليلٍ موغلٍ عقيم
ما انحط فى أفق ولا سديم
وما وعاه أطلس الزمان والمكان
ومَا تبدى من ورائه شفق
يا بؤس فى الدروب ما اندفق

من الحميم ألف فرسخ غوى
وألف ميقات مداهن غبيّ

***

ها نحن نمضى فى ارتحالنا
نجوس فى الأزمة المبعثرة
ونرتمى فى الحفر المسدلة الغيوم
ونستضىء بالشموس لم تصافح
مقلة النهار
وبالنجوم ما انحنت تقبل الخطى
وما استدارت تشعل الحنين فى الصدور

***

نبا بنا زماننا العنيد
تلفظنا عيونه
ويستبيح رعدُه وبرقُه وأنجمه
برودة الدماء فى عروقنا
والسحن المرمى فوقها
بلادة تمور فى الظنون
فما الذى صيرنا فى ساحة المجالدة
أعنة مهيضة وباردة
لا تعرف الولوج فى المراودة
ولم تخاطر أن ترود مرةً

مرافئ اللجاج والمعاندة
فما الذى أباحنا
لسطوة المحاور المراوغة
تدير فى رء وسنا النعاس والخدر
وكلما ارتدّ إلى سمائة بشر
عدنا ندور فى الدوائر المفرغة

***

زماننا
لم نستطع أن نستبين أبجديته
ولم نشأ أن نرصد اندفاعه
إلى المرافئ البعيدة العنيدة
فغال فى عيوننا الترقب المديد للنجوم
وحطّ فى الضمائر البليدة المغيبة
قاموسه المليء بالروى المغتربة
ونحن نستمرئ لحظة الذهول
وندعيها لحظة المكاشفة
ونستعيد كلما خبا أوارها
تاريخها المشحون بالشواهد المؤثّمة
فما الذى رمى بنا لرحلة
شقية المدى عصية الدروب
هل أن أنهراً من الجليد

قد دقت الحديد فى عيوننا
فلم نعد نقوى على اندلاعة الزمن
أم أن عاصفًا ممرد الجناح
ينقض كلما أظلنا صباح
يملى على عيوننا تمرده
يؤجل الأفراح للمدى المراوغ العقيم
ويرسل الرياح تستهل بالنذير
وتستظل بالردى وبالنكير
وما لنا حياله
طوقٌ ولا أعنة ولا خيول
إلا التى تحملنا رهينة
تنداح فى الرياح والبراح والوهن
تؤزها لكى تغادر الزمن

عَلَّمَتِنِي

علمتنى
فى صحبة المساء أن أخوض رحلةً
إلى القمر
أن أعتلى مناكب السماء كى أراود النجوم
لتستفيق باقةً من الأغانى
تنسلُّ نشوى فى صدى الأهلة الطروب
أدور معها فى حديث عاشقٍ مشوق
عن قدرى المخبوء فى عيونك البريئة
وعن تواصلى
مع اندفاقة العطور فى الزهور
مع الخرير فى الغدير والعبير فى نسائم السَّحَر
إذا التقى من خلفها قلبان عاشقان

علمتنى
أن أوقظ الشموس من سباتها
لكى تضىء لى مشارف الصباح
لألقط النضار من حدائق النهار
وأعقد الضياء حليةً بهيّة
معقودة بلهفتى
وأسأل الطيور أن تعيننى على الغناء
وأن تصبّ لحنها الرهيف فى تواصل المطر
وفى تمايل الشجر
وفى عيون الجدول المشاكس الجسور

***

علمتنى
أن أنشىء الجسور والمعابر الحميمة
ما بين صبوتى الراعشة النداء
وبين رحلة الصدى لساحة الغناء
وأن أرافق الليالى المسهّدة
أطوف حول لمعة الطيوف
عصيّةً قصيّة وشاردة
أنظمها قلادة
تخايل المساء بالضياء

***

علمتنى
أشياءك العجيبة الغريبة
تلك التى ما انحط فى سمائها
توقعٌ ولا تصور ولا خيال
أن ارتماء العشق فى ضراوة الحريق
ضرب من الهُدى
وليس ضربًا فى متاهة الطريق
وأن نار العشق تغفر الذنوب
كما يبُرأ الأوأَب والمنيب
وأن لحظة راجفة من اللقاء
قد تشعل الحريق فى الدماء
وتستثير فورة
غافية ومستكنة
لا مثلما تثير ألف ساعة
مأنوسة .وادعة ومطمئنة

***

علمتنى
إما كوانى الجرح لا أبوح
وأن أدارى خفقة الجروح
ودفقة الأسى
فى أعين الصباح والمساء

علمتني يا نار أن أذوب
من دون أن تدرى بدائى الدورب
وأن أضيع فى خطى المعذبين
وملء قلبى الشوق والرجاء والحنين
علمتنى
أنى أغنى فى تدافع المطر
كما أغنى فى تواثب الخطر
وأن موسيقا العناء والمكابدة
تدق فى جنبىّ مثلما يوقع النشيد
علمتنى
لما يغيم فى سمائى المدى ويطبق الجليد
وتوأد الرياح فى براح خطوى المديد
أقبس من عينيك ساعة من الرضا
فتشرق السماء فى عينىّ من جديد

قبضة..من الوهج

ماذا لو ان قلبك المليء بالظنون

يأيها الملتاث فوق حافة مسننة

وفوق نارٍ قد تغشّت باللظى عيونه

وبين دربين تخاصماه قنيةً رهينة

ماذا لو انّهُ

أمال إحدى الكفتين فى المراهنة

وسار صوب النار والقتام والأهلة المداهنة

أو سار صوب النهر والعرائش الظليلة

أو صوب ريح برة رخيّة بليلة

***

تكشفت غلائل الظنون واستبانت الدروب

وكلٌّ أفق كاشف الرياح عن براءته
وأوشكت ستائرالغيوم أن تبوح
وكاد سر النار أن يلوح
ما عادت الغيوب تستثير حيرة المساءلة
لأنه ما عاد خلف الأفق من غيوب
وما الذى قيد خطوك المهيض بين حافتين
وما الذى أقام ظلك المريض بين بين
والآن هيا خذ قرارك الذى يلقيك فى اليقين
وأقفز إلى ما تصطفى من عمق حافتيك وعش بها
كما يعيش الراهب البوذى آثر السفر إلى شواطئ المرافئ
البعيدة القصية
واختار أن تلوكه النيران كى يفيض للمراتب العلية
يأيها المداور الملتاث فوق حافة مسننة
تود أن تحوز من دروبك التى تخاصمت عليك قبضة من الوهج

حديث الماء والنار

كنتِ أشعلت دروبى وهجا
وتراميت على أشرعتى
حلما يمضى لديا
لم يطأها بعد فى الكون خيال
لم تكونى ذات يوم قبسًا
من لظى الشمس التى تنداح نارًا و أوارا
كنت نارًا قدسيّة
توشك الأشواق فيها
أن ترى فوق القباب المشرعات
موعدًا يدعو لميقات الصلاة
كنت نارًا

وسعت كل التباريح التى تشعل توق
العاشقين
وأمانى السكارى المدنفين
ورعاة الحلم ينساب رفيقاً فى الرؤي
ويعيذ الرحلة المضناة أن توفد
لليل العتيم

***

كنتِ لى أيتها النار المهيبة
زورق الشمس الذى يحملنى
فوق متن الريح أرتاد الزوايا
حاملاً بين ضلوعى
من شفاه النهر أوراد المشوقين اليتامي
كنت شوق الرفقة المضنين ينسلون
فى الليل لواذا
تتملاّك دعاءً وتعاويذ بريئة
كنت لى سقيا وكان الماء دفئاً فى ضلوعى
ذلك الماء الذى كان رفيقى
عندما أوغل أرتاد حثيثا
تحت ظل الغيم أحلام سنيًّ المطفآت
وأمانّى التى تولد فى لون تباريح الوطن
كنت أستسقيه من نبع توارى فى السماء

واستوى فوق شفاه النهر ورداً للظماء
عسلاً .خمراً. حليباً . كوثراً
كنت لى والماء زاد السفر ا لمضنى لبيت فى القمر
أنت تنهّلين نعمى
ومواعيد وعطرا او جنونا
تهبين العمر فرسانا وخيلاً وصهيلاً
ومضامير سباق للنجوم
وهو يرقينى برقيا الغيم أن تزلق
فى الطين خيولى
أن أري تحت انهمار الشمس أشكو وظمئى
ضارعًا خلف عذابى
راجيا حافة ميزاب صديّ

***

كنت لى والماء تعويذة أيامي العجاف
حينما .تولد فىّ الرغبة النشوى
لكى أنساب حلما فى الضفاف
أنبتُ النسمة ترتاد مواقيت الرياح
والأغانى فى لهاة الطير والزرقة فى لون الحقول

***

وغداة انهد فى الهيكل طوق وبناء
وتداعى الغيم معقوداً على متن الرجاء

وغدا العمر طيوفًا من بقايا زمن
فائر الخطو وميعاداً يولى
غردى أيتها النار بأصداء لحونى
وأعيدى صولة العمروأشواق الليالى المثقلة
واملئي دربى أطيافا وأحلامًا وأصداء مرايا
أشعلى لى عمرى الموهن بالتوق القديم
ما يزال العمر ملتاثا بأشواق التداعى
وبقايا العمر حتى إن تخطين السنين
وانطوى فيهن حتى رمق الضوء المولى
تترجى ساعة كنت لهيبًا فى الضلوع
ما تزال النسمة المرخاة من آخر ليل يتوارى
قبسًا لا ينى ينبض من تحت الرماد
فأهيبى ببقايا الشعلة المذكاة أن تومض هَوْنًا فى الدماء
واجعلى الماء رفيقى
يتمادي
مشفقًا برًا حفيا فى عروقى
مثلما كنت وصوبُ العمر فياض سخىّ

الشاعر

*** محمد صالح الخولانى.**

- ولد فى بورسعيد عام 1935.
- تخرج فى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر عام 1963.
- تنشر أعماله منذ بداية الستينيات فى الصحف والدوريات الأدبية بمصر والعالم العربى وتذاع بالبرامج الأدبية بالإذاعة والتليفزيون .

*** صدر للشاعر**

- ديوان «ملحمة الشعب البطل» فى دولة الجزائر عام 1971.
- ديوان «نصغي ويقول الموج» عن دار المستقبل ببورسعيد عام 1987.
- ديوان «فى ذاكرة الفعل الماضى فى سلسلة إصدارات أدبية» الهيئة العامة لقصور الثقافة عام 1992.
- «الحلم والمؤامرة» مسرحية شعرية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام 1996.
- «أيام الدم» مسرحية شعرية عن الهيئة العامة لقصور الثقافة عام 2000.
- «مملكة البندقية» عن دار آرت بورت ببورسعيد عام 2005.
- ديوان «أشواق رحلة العودة» شعر سلسلة «الإبداع الشعرى المعاصر» الهيئة المصرية العامة لكتاب.

*** للشاعر تحت الطبع:**

«زيارة لبيت القاضى و«السقوط» مسرحيتان شعريتان من فصل واحد.

* ديوان :«رحلة إلى الله» أشعار إسلامية.

المحتوى

للنشر فى السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.

* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .

* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

صدر مؤخراً فى سلسلة
أصوات أدبية

380– صندوق روبابيكيا ....محمد عبد المعطى

381– المنمنمات ....محمد عفيفى مطر

382– إخْلِصْ لبحرك ....مسعود شومان

383– سياسة النسيان ....عاطف عبد العزيز

384– كلام مُرْسَل ....خالد الصاوى

385– الفؤاد وما رأى ....فتحى دياب

386– ثلاث خطوات باتجاه السماء ......محمد صالح البحر

387– الأعتراف الأخير ....درويش الأسيوطى

388– آثار جانبية للسعادة...................البهاء حسين

389– أصداف المحار...............عبد الرحمن درويش

390– رائحة الوداع.......................فؤاد قنديل

391– العائش قرب الأرض................. عيد عبد الحليم

392– ضد الفراغ العاطفى.................... أمجد ريان

من أعدادنا القادمة

1- للسنبلات.. ملامح الوطن القديم .... أحمد محمد

2- مشـاهـد .... فتحي فرغلي

شركة الأمل للطباعة والنشر
(موارفيتلى سابقاً)

بعد أن أثرى الشاعر الكبير محمد
صالح الخولاني حياتنا الإبداعية بالعديد
من الدواوين و المسرحيات الشعرية
التي حققت ردودًا طيبة سواء بالنسبة
لمتذوقي الشعر أو محبي العروض
المسرحية، فإنه في هذا الديوان يطالعنا
بمجموعة من القصائد التي تبين عن
فضاء شعري رحب له تفرده
و خصوصيته بداية من التجربة الفنية
و حتى المفردة اللغوية ذات الدلالة
العميقة و الموحية



www.gocp.gov.eg
www.qatrelnada.com.eg
www.althaqafahalgadidah.com.eg
www.odabaaelaqaleem.com

الثمن : جنيهان